

من صحابة الرسول

المجموعة الثانية

٧

الطفيل بن  
عمر والدوسي

نانيس محمد عزت

## الطُّفِيلُ بنَ عَمْرٍو الدَّوسِيُّ

رجع أحمد من المدرسة مُتَأَخِّرًا ، فاعتذر لوالده قال :  
آسفُ يا أباي لِتَأَخُّري ، فقد كُنَّا ندعو للمُعركةِ  
الايثابِيَّةِ .

سأله والده : أَيْتُهُ انتخاباتُ يا أحمد ؟

قال أحمد : انتخاباتُ والدِ القِصَلِ يا أباي ، فنحن جميعًا  
نقف لى صفٍّ صديقنا عاصم ، فالمُعركةُ حاسية ، لوْجودُ  
خصمٍ قوًى ينافِسُهُ .

قال والده : وهذا لمصلحتِكُم ، فالمنافسةُ عادةٌ تُؤدِّي  
إلى تحسِينِ الأداءِ .

قال أحمد : نحن مع صديقنا عاصم ، ولن نُغيِّرَ مُنافِسَتَهُ  
أبىَّ اهتمام .

سأله والده : ألم يفر عاصم في السنتين الماضيتين ؟  
فلماذا لا تغيرونه هذه السنة ، فتستفيدوا بأفكار  
جديدة ، ومبادئ مختلفة ؟

تأمل أحمد في كلام والده وقال : ولكن عاصم  
صديقنا ، ولن نسمح بهزيمته .

قال والده : المصلحة فوق الصداقة يا بُنى ،  
واختياركم رائداً جديداً للفصل لن يضرّكم شيئاً ،  
ولكنه سيُفيدكم ختماً .

قال أحمد : أتعنى يا أبى أن نستمع للمرشح الجديد ،  
ونقارن بينه وبين صديقنا عاصم ؟

ابتسم والده وقال : قال واحد من صحابة رسول  
الله - صلى الله عليه وسلم - قبل إسلامه ، مقولاً  
استمع إليها وتأملها ، قال : تكلمك أمك يا طفيل ..  
إنك لرجلٌ لبيبٌ شاعر ، وما يخفى عليك الحسن من

القيح ، فما يمنعك أن تسمع من الرجل ما يقول ، فإن  
كان الذي يأتي به حسنا قبلته ، وإن كان قبيحا تركته .  
فكر أحد في المقولة فقال : كلام معقول ، ولم لا ؟ ،  
ولكن من هو هذا الصحابي يا أبا ؟ هلا حكيت لي  
قصته ؟

استجاب له والده ، وراح يحكي قصته ، قال : إنه يا  
بنى الطفيل بن عمرو الدوسي ، نسبة إلى قبيلة «دوس»  
التي كان سيّدا لها في الجاهليّة ، وكان كريما عطوفا  
يُطعم الجائع ويؤمّن الخائف ويجير المستجير ، كما كان  
سيّدا مهابا جليلا في قومه ، علاوة على أنه كان شاعرا  
مرهقا رقيق الشعور يودّد دائما على مكّة في مواسم  
سوق عكاظ ، حيث يقد إليها الشعراء من كل بقاع  
الأرض ، وكان الطفيل من الشعراء البارزين .  
وبدا التورّ يسطع في مكّة ، وبدأ رسولنا الكريم -  
صلى الله عليه وسلم - يدعو لعبادة الله الواحد الأحد ،

ونبه عباد الأصنام ، فحافت قُريش على مكائنها في  
الوجود وعلى زعامتها بين القبائل ، فعملت على إطفاء  
نور الله والصد عن الدين الجديد بكل وسيلة ، سواء  
أكانت مشروعة أم غير مشروعة . كما حرصت على  
ألا يلقي الطفلُ محمداً - صلى الله عليه وسلم - فبعلن  
إسلامه ، فتكون موهبته الشعرية سلاحاً في خدمة  
الإسلام ، فكان كلما قدم إلى مكة ، استقبلوه أعظم  
استقبال ، ورحبوا به أكرم ترحيب ، وداوموا على  
تحذيره من محمد - صلى الله عليه وسلم - فقالوا له :  
يا حُفيل إنك قدمت إلى بلادنا ، وهذا الرجل الذي  
يزعم أنه نبي قد أفسد علينا أمرنا ، ومزق شملنا ،  
وشتت جماعتنا ، ونحن إنما نخشى أن يحل بك وبزعامتك  
في قومك ما قد حل بنا ، فلا تكلم الرجل ، ولا  
تستمعن منه شيئاً ، فإن له قولاً كالسحر يفرق بين الابن  
وأبيه ، وبين الأخ وأخيه ، وبين الزوجة وزوجها .

قال أحمد : أهذه الدرّجة كانت قريش تحشى إسلامه ؟  
 قال والده : كانت للشاعر في تلك الأيام يا أحمد  
 مكانة عظيمة ، بمثابة وسائل الإعلام في أيامنا هذه ،  
 وكان لا يخلو مجلس من المجالس من الشعراء ، ومن إلقاء  
 الشعر وسماع الشعر .

ونجد أن الطّفيّل تأثر بكلام قريش وتحذيرها ،  
 فعندما ذهب للطّواف بالكعبة حشاً أذنيه بالقطن حتّى لا  
 يسمع محمداً - صلى الله عليه وسلّم - ولا يُفتنَ بقوله .  
 ولكن الله تبارك وتعالى يهدي من يشاء ، وإرادته  
 فوق كلّ إرادة ، فعندما رأى الطّفيّل الرّسول يُصلي ،  
 أسره منظره ، واستولى عليه خشوعه وورعه وتقاه ،  
 فاقرب منه وقال في نفسه مقولته التي سبق أن قلنا :  
 لماذا لا أسمع ما يقول ، فإن كان خيراً قبلته ، وإن كان  
 شراً ابتعدت عنه ؟

واسمع الطُّفِيلَ لقول النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -  
فَأُشْرِحَ فُزَّادَهُ لِلَّذِينَ الْجَدِيدَ فَأَعْلَنَ إِسْلَامَهُ ، وَخَرَجَ إِلَى  
الْقُرَشِيِّينَ مُنْشِدًا :

يَا ذَا الْكَفَيْنِ لَسْتُ مِنْ عِبَادِكَ

مِلَادُنَا أَقْدَمَ مِنْ مِلَادِكَ

وَذُو الْكَفَيْنِ صَنَمٌ كَانَتْ تَعْبُدُهُ قَبِيلَةُ « دُوس » .  
فَرَفَعَتْ كَلِمَاتِهِ عَلَى قَرِيشٍ وَقَرَعِ الصَّاعِقَةِ ، وَلَكِنَّمَا  
خَشِيتُ أَنْ تَمْسَهُ بِسَرٍّ ، فَهُوَ سَيِّدُ قَبِيلَتِهِ « دُوس » ،  
فَإِنْ أَصَابَهُ مَكْرُوهٌ اشْتَعَلَتْ نَارُ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ .  
وَمَكَثَ الطُّفِيلُ بِمَكَّةَ يَتَعَلَّمُ تَعَالِيمَ الَّذِينَ أَلْذَى أَحَبَّهُ ،  
وَبَعْدَ أَنْ أَتَمَّ حِفْظَ مَا تَبَيَّرَ لَهُ مِنَ الْقُرْآنِ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ  
اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَيُفِي أَنْ يَعُودَ لِقَوْمِهِ  
وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، قَالَ : إِنِّي يَارَسُولَ اللَّهِ أَمْرٌ  
مَطَاعٌ فِي عَشِيرَتِي ، وَأَنَا رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ وَدَاعِيهِمْ إِلَى

الإسلام ، فادع لي الله أن يجعل لي آية تكون عوناً لي  
فيما أدعهم إليه .

فدعا - صلى الله عليه وسلم - ربه قال : اللهم اجعل  
له آية .

وكانت الآية التي دعا بها - صلى الله عليه وسلم -  
على مشارف القبيلة ، فاضاء الله بين عيني الطفيل ضياءً  
وماجا مكانه السراج . فخشى الطفيل أن يظن قومه أن  
ذلك من غضب ذي الكفين عليه ، فتضرع إلى ربه ألا  
تكون الآية في وجهه ، فاستجاب الرحمن لدعائه فكانت  
الآية في سوطه ، حيث اضاء رأس سوطه كالقنديل  
المعلق .

وبدا الطفيل يدعو قومه لعبادة الله ونبذ عبادة  
الأصنام ، فكانت النتيجة أن آمن أهل بيته جميعاً - أبوه  
وأُمُّه وزوجته وابنه عمرو - أما أهل قبيلته فلم يجد منهم



نفس القبول ، فأعرضوا عنه جميعاً إلا واحداً ، هو أبو هريرة الذي ما أن سمع دعوته إلا وسارع إلى الإسلام .

قال أحمد : لماذا لم تُسلم قبيلة « دوس » يا أبا ؟  
أليس طبعاً أن تتبع القبيلة زعيمها ؟

قال والذه : هذا صحيح يا أحمد ، ولكن قبيلة « دوس » كانوا يجلبون ذا الكفّين ويعيدونه ويندّلون إليه ، وأهم من ذلك أنهم كانوا يخافونه أشد الخوف ، حتى إنهم كانوا يتوقعون انتقام ذي الكفّين من أهل بيت الطّفل ، لتسفيهم إياه ، وكفّرهم به .

وعاد الطّفل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حزينا ، وقال : قلوبُ عليها أكينة وكفّر شديد .. غلب على « دوس » الفسوف والعصيان .

فرضاً رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصلى لله ودعاه : اللَّهُمَّ اهْدِ « دوساً » ، اللَّهُمَّ اهْدِ « دوساً » ، اللَّهُمَّ اهْدِ « دوساً » ، اللَّهُمَّ اهْدِ « دوساً » . ثم انضت إلى

الطُّفِيلِ وَقَالَ : ارجع إلى قومك وارفق بهم وادعهم إلى الإسلام .

قال أحد : وماذا بعد يا أبى ؟ هل أسلمت « دوس » ؟  
قال والدّه : نعم أسلمت ، ويرجع ذلك لضعفه -  
صلى الله عليه وسلم ، ولصغر الطُّفِيلِ وإصراره ، فما  
زال يدعوهم حتى أسلم ثمانون بيتاً من « دوس » ، هم  
أغلب القبيلة .

وهاجر الطُّفِيلُ وأفراد قبيلته إلى المدينة ، لمُبايعَةِ رسولِ  
الله . وكان ذلك إبان غزوة خيبر . وأبى الطُّفِيلُ  
وعشيرته إلا أن يشاركوا فى الغزوة ، وطلب من النّبي -  
صلى الله عليه وسلم - أن تكون لهم مِمنةُ الجيش ،  
وذلك عندما أحسّ بقوة الرُّكن الجنوبيّ من قلعة  
اليهود ، وقال :

- يا رسول الله اجعلنا مِمنّك واجعل شعارنا

« مبرور » .

ولانت الحصون وفتحت خير ، وكان هذا هو آخر عهد اليهود بالمدينة . ولبت الطفيل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أتم الله عليهم فتح مكة ، ثم استأذن من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في السفر إلى « دوس » لإحراق ذى الكفين صنيها المعبود .

وتم إحراق الصنم على مشهد من لم يسلموا بعد ، وهم يترثصون السوء بالطفيل ، ويتوقعون أن تكون نهايته إذا مس ذاك الكفين بضر .

وما أن تم إحراق الصنم إلا وأسلم الجميع في « دوس » فقد رأوا مدى ضعف ذى الكفين وهوانه ، حتى إنه لم يستطع أن يكف الأذى عن نفسه .

ولازم الطفيل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى لقي الرسول ربّه ، وخلفه أبو بكر الصديق . وحزن الطفيل وابنه عمرو لردة بعض المنافقين عن

الإسلام ، فكانا خريصين على المشاركة في حروب الردة ، ليحفظا مكانة الدين وقيمه .

وشارك الطفيل في حرب طلحة الأسدي ، حتى قُتل طلحة . وحارب في نجد ، وكان ضمن الجيش الذي بعثه أبو بكر الصديق إلى اليمامة لحرب راس الكفر والشرك فسلمة الكذاب .

وفي ليلة المعركة ، رأى الطفيل رؤيا استبشر بها فقال : إني رأيت راسي خلق ، وأنه خرج من قمى طائر ، وأن امرأة أدخلتني في بطنها ، وأن ابني عمرا جعل يطلبني خفيًا ، لكنه حيل بيني وبينه .

وأول رؤياه مستبشرا فقال : أما خلق راسي فذلك أنه يقطع ، وأما الطائر الذي خرج من قمى فهو روحى ، وأما المرأة التي أدخلتني في بطنها فهي الأرض تحفر لى فأدفن فيها ، وإني لأرجو أن أقتل شهيدا ، وأما طلب ابني لى فعنى أنه يطلب الشهادة التي سأحظى بها

ولكنه لا يدركها في هذه المعركة ، ولكنه يُدركها فيما بعد .

قال أحمد : يا للشغافية والإيمان الراسخ ، إنه رأى رؤيا استشهاده ، ومع ذلك تقدم للمعركة ولم يخش .

قال والده : إنه إنما دخل المعركة طالبا الشهادة ، فلماذا يخاف والشهادة هي منتهى أمليه في الحياة .

وما لبث وهو يطيح برؤوس الشرك ، أن رماه رجل برمية سيف غادر قطع عنقه ، فخر شهيدا وصدق رؤياه .

وتحسب إنه عمرو عندما رأى استشهاده أبيه ، فراح يكيل الضربات يمينًا وشمالًا طلبًا للشهادة ، ولكن أجله لم يحن بعد ، وإن كانت يمينه قطعت .

قال أحمد : لا بد أنها كانت معركة شرسة .

قال والده : هذا هو الوصف الصحيح لها ، فمسلمة وأعوانه قوة لا يستهان بها ، ولكنها انهارت

تحت وطأة سيوف المسلمين الجبارة ، فقتل زعيم  
 الشرك مُسَيْلِمَةَ ، وقُتل الكثير من أعوانه ، وعاد  
 الكثيرون من المسلمين الذين ارتدوا عن دينهم . وعنى  
 عمرو أن يلحق بأبيه وينال شرف الاستشهاد في سبيل  
 الله ، ولكن أُمَيْتَهُ لم تحقق إلا في عهد ثاني الخلفاء  
 الراشدين عمر بن الخطاب في معركة اليرموك ، عندما  
 خرج لملاقاة الروم تحت إمرة أبي عبيدة بن الجراح .  
 قال أحد : إنها قصة رائعة يا أباي ، قصة شهيدين بدلا  
 روحتهما في سبيل الله ، قصة إيمان راسخ ، وعقيدة  
 قوية ، وإصرار على نشر الدين .  
 قال والده : أرايت يا ولدي لو أن الطفيل أصم أذنيه  
 عن الدعوة ، والاستماع لرسول الله - صلى الله عليه  
 وسلم - لكان خمير الكثير ، وخمير الإسلام أحد أبطاله  
 العظماء .

قال أحمد : هذا حق ، فيجبُ على الإنسان أن  
يسعمل عقله في التمييز بين الصواب والخطأ ، ولا  
يعتمد على آراء الآخرين .

وغداً إن شاء الله سنعيد اجتماعاً مع المُرشد الجديد  
لريادة الفصل ، وسناقشه حتى نطلع على أفكاره .  
ليكون الصواب للأصلح مِنْهُمَا إن شاء الله .